

شجرة الكون

تأليف

الشيخ الأكبر سيدى محي الدين بن العربي

رضي الله تعالى عنه آمين

ويلهما:

حكاية إبليس

بما أخبر به النبي المعظم، صلى الله عليه وآله وسلم

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

شجرة السكون

تأليف

الشيخ الأكبر سيدى محي الدين بن العربي

رضى الله تعالى عنه آمين

ويليها :

حكاية إبليس

بما أخبر به النبي المصطفى ، صلى الله عليه وآله وسلم

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ
(قرآن كريم)

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأحدي الذات ، الفردى الصفات ، الذى تقدس وجهه من
الجهات ، وقده عن المحدثات ، وقدمه عن الجهات ، وبده عن الحركات ،
وعينه عن الحظاظ ، واستواؤه عن الانصالات ، وقدرته عن المفوات ، وإرادته
عن الشموات ، الذى لا تعدد لصفاته بعدد الموصوفات ، ولا تختلف إرادته
باختلاف المرادات ، وكونه بكلمة (كن) جميع الكائنات ، وأوجد بها جميع
الموجودات ، فلا موجود إلا مستخرج من كتبها المكنون ، ولا مكنون
إلا مستخرج من مرها المصون ، قال الله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن
يقول له كن فيكون - :

الطبعة الأخيرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

وبعد : فإني نظرت إلى الكون ' وكونيه ، وإلى المكنون وتكوينه ،
فرايت للكون كله شجرة وأصل نورها من حبة كن قد لقحت كاف الكونية بلباق
حبة : - نحن خلقناكم - فانهقد من ذلك البذر ثمرة - إنا كل شيء خلقناه بقدر -
وظهر من هذا غصنان مختلفان أصلها واحد ، وهو الإرادة وفرعها القدرة ، فظهر
من جوهر الكاف معنيان مختلفان كاف الكيالية - اليوم أكملت لكم دينكم - ، وكاف
الكفرية - فتم من آمن ومنهم من كفر - وظهر جوهر النون نون النكرة ونون
المعرفة ، فلما أبرزهم من كنّ العدم على حكم مراد القدم رش عليهم من نوره ،
فأما من أصابه ذلك النور فحُدق إلى مثال شجرة الكون المستخرجة من حبة كن
فلاح له في سر كافها مثال - كنتم خير أمة - وانضح له في شرح نونها - أفن شرح
الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما من أخطاه ذلك النور فطوب
بكشف المعنى المقصود من حرف كن فإنه غلط في جهاته وخاب في رجائه فنظر
إلى مثال كن فظن أنها كاف كفرية بتون نكرة فكان من الكافرين وكان حظه
كل مخلوق من كلمة كن ما علم من هجاء حروفها وما شهد من سرائر خفايا دليته

قوله صلى الله عليه وسلم وإن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره أصابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ذلك النور ضل وغوى ، فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود فوجد كل موجود دائرة في دائرة الكون واحد من نوره واحد طين ، ثم رأى هذه الدائرة على سائر كنه فكيفها داو واستدار وحيثما طار واستطاع فلما ينزل عليها يحول ولا يزول عنها ولا يحول ، فواحد شهد كاف الكناية ونور المعرفة ، وواحد شهد كاف الكفرية ونون النكرة فهو على حكم ما شهد راجع إلى نقطة دائرة كنه ، وأيس للمكون أن يماز ما أرواه المكون ، فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون ونوع ثمارها علمت أن أصل ذلك ناشئ من جن كنه بائن عنها ، فلما أدخل آدم في مكتب التعليم وعلم الأسماء كلها نظر إلى مثل كنه ونظر إلى مراد المكون من المكون فشهد المعلم من كاف كنه كاف الكثرية وكنه كنه تخفيا لأعرف فنجيت أن أعرف ، فنظر من سر النون تون الأناية - إنني أنا الاله لا إله إلا أنا - الآية ، فلما صح المجاء وحقق الرجاء استبط له من كاف الكثرية كاف للتكريم - ولقد كرمنا بني آدم - وكاف الكثرية كنه له سمعا وبصرا وبذرا واستخرج له من تون الأناية نون النورية - وجعلنا له نورا - واتصل به نون النعمة - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وأما إبليس لعنه الله فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف عام يتصفح حروف كنه وقد وكله المعلم إلى نفع وأحاله على حوله وقوته ، فكان ينظر إلى تمثال كنه ليشهد من تمثالها كاف كنه فكبر - فإني واستكبر - ويشهد من نونها نون ناريته - خلقتني من نار - فاتصلت كاف كفرية بنون ناريته - فككبوا فيها - فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة وتوابع أثمارها وثمارها فتثبت بغصن - إني أنا الله - فنودي : كل من ثمار التوحيد واستظل بظل التفريد - ولا تقربا - فأراد إبليس أن يوصله بغصن - فوسوس لما فأكل منها - فزلقا في ميزان التقي - واستمسك بغصن - ربنا ظلمنا أنفسنا - فندلت عليه ثمار - فقلني - فلما نودي يوم الإتيان ، على رؤوس الأشهاد - أأنت ربكم فشهد كل على مقدار ما شهد وسمع ، ثم اتفق الكل في الإيجاب ، فقالوا - بلى - لكن الاختلاف وقع من حيث الإتيان ، فمن أشهد جمالية ذاته شهد أنه ليس كنه شيء - ومن أشهد جمالية صفاته شهد أنه - لا إله إلا هو الملك القدوس - ومن أشهد هراثن

مخزواته اختلفت شهادتهم لاختلاف المشهود فقام جعلوه محددا ، وقوم جعلوه معدوما ونوم جعلوه حجرا جعلوه داء ، والكل في ذلك على حكم - قل إن بعيننا - وهو مستيقظ وقوم جعلوه كنه ، دائرة على نقطة دائرتها ، ثابت على أصل جبينها ، فلما كانت هذه الحبة في سر كلمة كنه ، دائرة ونور ثمرتها ومعنى صورتها ، أجيبت أن أجعل للمكون مثلا والوجود تمثالا ، ولما ينتج فيه من الأقوال والأفعال والأحوال متوالا ، فكل شجرة نبتت عن أصل حبة كنه ، وكل ما يحدث في الكون من الحوادث كالتقص والزيادة والغيب والشهادة والكفر والإيمان وما ينشأ من الأعمال وزكاة الأحوال ، وما يظهر من أزاخير القول والترك والدوق ولطائف المعارف ، وما تورق به من قربات المقربين ومقامات المتقين ، وما نال لثام الصدقين ، وما نجا العارفين ، ومشاهدات الخبيثين ، كل ذلك من ثمرها الذي أثمرته وطلعه الذي أطلعته ، فأول ما نبتت هذه الشجرة التي هي حبة كنه ثلاثة أغصان أخذ غصن منها ذات البين فهم أصحاب اليمين ، وأخذ غصن منها ذات الشمال ، ونبت غصن منها معتدل القائمة على سبيل الاستقامة ، فكان منه السابقون المقربون ، فلما نبت واستعمل جاء من فرعها الأعلى وجاء من فرعها الأدنى عالم الصورة والمعنى ، فكان من قشورها الظاهرة وستورها الباردة فهو عالم الملك ، وما كان من قلوبها الباطنة ولباب معانيها الخفية فهو عالم المليكوت ، وما كان من الماء الجاري في شريانات عروقها الذي حصل به نموها وحياتها وستورها ، وبه طلعت أزهارها ، وأينعت ثمارها فهو عالم الجبروت الذي هو سر كلمة كنه ، ثم أحاط بالشجرة حائط واحد لها حدود ورسم فاروس ، فحدودها الجهات : هن - العلو والسفل واليمين والشمال ووواء وأمام ، فما كان أعلى فهو حدها الأعلى وما كان أسفل فهو حدها الأسفل - وأما وسومها وما فيها من الأفلاك والأجرام والأقمار والأحكام والآثار والأعلام ، فجعل السبع الطباقي بمنزلة ما يستظل به من الأوراق ، وجعل الكواكب في الإشراق بمنزلة الأزهار ، والآفاق ، وجعل الليل والنهار بمنزلة رداء من مختلفين : أحدهما أسود يرتدى به ليحتجب عن الأبصار ، والآخر أبيض يرتدى به ليتجلى على ذوات الاستبصار ، وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة رخزانة سلاحها ، فنه يستمد ما فيه صلاحها ، وفيه سوام هذه الشجرة وعملها - وترى الملائكة حافين من حول العرش - إليه يتوجهون ، وعليه

يعاون، وحوله يحومون، وبه يطوفون، وحيث كانوا فلا يه يشيرون، ففي حذر
في هذه الشجرة حادثة أو تزل بشيء منها نازل لرفعوا أيدي المستلة والتضرع إليها
هرشه بطلون الشفا ويستعفون عن انخطا، لأن موجد هذه الشجرة لاجهه إليه
يشار إليها، ولا ينبغي له يقصدونها، ولا كيفية له يعرفونها، فلو لم يكن العرش بها
يتوجهون إليه لقيام بخدمته، ولأداء طاعته لفضلوا في طلبهم، فهو سبحانه وتعالى
إنما أوجد العرش لإظهار القدرته لأعماله لذاته، وأوجد الوجود للحاجة له به وإنما
هو إظهار لأسمائه وصفاته، فإن من أسمائه الغفور، ومن صفاته المغفرة، ومن أسمائه
الرحيم، ومن صفاته الرحمة، ومن أسمائه الكريم، ومن صفاته الكرم، فاختفت
أخصان هذه الشجرة وتنوعت ثمارها ليظهر سر مغفرتة للمذنب، ورحمته للمحسن،
وفضله للطائع، وعدله للعاصي، ونعمته للمؤمن، ونقمته على الكافر، فهو مقدم
في وجوده عن ملامسة ما أوجده ومجانبة مواسلته ومفاصلته، لأنه كان ولا يكون
وهو الآن إذا كان لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون لأن الوصل والفصل من صفات
الحدوث لا من صفات القدم لأن الاتصال والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال
ويلزم من الانتقال والارتحال التحول والزوال والتغير والاستبدال، هذا كله من
صفات النقص لا من صفات الكمال، فسيحانه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
والجاحدون علوا كبيرا، ثم جعل اللوح والقلم بمنزلة كتاب الملك وما يسطر فيه من
أحكامه وما حكمه بنقضه وإبرامه وإيجاده وإعدامه وما يخرج من بره وإنعامه
وما يكون من ثوابه وانتقامه، ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه
الشجرة يقوم تحتها من يقوم بخدمته وينفذ أحكامه ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة
هذه الشجرة وما يدانيها، ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك الذي هو اللوح
المحفوظ، وما يحدث في هذه الشجرة من نحو وإثبات ونقص وزيادة فلا يتجاوز ذلك
للشجرة، إذ لكل واحد منهم حد مفهوم، وحظ مقسوم، ورسم مرسوم ومما
إلا له مقام معلوم ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة من دنى أو سفلى، أو صغرى
أو كبير، أو جليل أو حقير، أو قليل أو كثير، إلا اعتم عليه في كتاب لا ينفاد
صغيرة ولا كبيرة إلا لأصحاها. ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحدى خزائنه اللب
ادخرها لثمره هذه الشجرة وهما الجنة والنار، فما كان من ثمر طيب ففي خزنة الجنة

كل إن كتاب الأبرار لى هلين. وما كان من ثمر خبيث ففي خزنة النار. كل إن
كتاب الفجار لى سجين. فاما الجنة فدار أصحاب النور من جانب الطور الأيمن من
الشجرة المباركة الطيبة، وأما النار فدار أصحاب الشمال من الشجرة الملعونة في القرآن
ثم جعل الدنيا مستودع زهرتها والآخرة مستقر ثمرتها وأحاط على هذه الشجرة حائط
لحاطة القدرة واقه بكل شيء محيط، وأدار عليها دائرة الإرادة يفعل ما يشاء وبمحكم
ما يريد، فلما ثبت أصل هذه الشجرة وثبت فرعها التي طرفها والحق آخرها بأولها
- إلى ربك منتهاها - إلى مبتدأها، لأن من كان أوله كن كان آخره يكون فهي وإن
تعددت فروعها وتنوعت زروعها وأصلها واحد فهي حبة كلمة كن وسيكون آخرها
واحد وهي كلمة كن، فلما أحذقت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى معلقة
بأغصان شجرة الخزوق، ويرد نسيم القرب بما جرح السوم، وظل سماء الوصل
متصل بغل من يحوم، وقد تناول كل حفله المقسوم فواحد يشرب بكأسه المحتوم
وواحد يشرب بكأسه المحتوم، وواحد من بينهم محروم، فلما برزت أطلال الوجود
من حضرة العدم هبت عليهم نسيمات القدرة، وغلظت لها نطف الحكمة، وأعطرتها
بمصاب الإرادة بمجانيب الصنع، فأثبت كل غصن منها ما سبق له في القدم، وركب
في عنصره من الصحة والسقم، والكون كله من عنصرين مستخرجين من جزءين
من كلمة كن، وهما: الظلمة والنور، فانخير كله من النور، والشركة من الظلمة،
فلما الملائكة موجود من عنصر النور، فكاف منهم الخير - لا يعصون الله ما أمرهم -
وملا الشياطين من عنصر الظلمة فكان منهم الشر، وأما آدم وبنوه فانهم جعلت
طينتهم من الظلمة والنور، وركب عنصره من الخير والشر والنفع والضر، وجعلت
ذاته إقباله للمعرفة والنكرة، فأى جوهر غلب عليه نسب إليه، فإن علا جوهر نوره
على جوهر الظلمة وظهرت روحانيته على جسمانيته، فقد فضل على الملك وعلا على
الملك، وإن غلب جوهر ظلمته على جوهر نوره وظهرت جسمانيته على روحانيته،
فقد فضل على الشيطان، فلما قبض الله آدم من قبضة تراب كن مسح على ظهره
- حتى يميز الخبيث من الطيب - فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب النور، فأدخلوا
ذات الشمال، وما زاغ أحد عن المراد ومأما، ومن قال لم؟ فقد أخطأ في السؤال.

فأول من عمل حوالى هذه الشجرة إلى أصل حبة كثر فاعتصر صفوة عنصر
ونخصها حتى بدت زبدتها، ثم صفها بمصفاة الصفوة حتى زال ونحها، ثم ألقى عليها
من نور هدايته حتى ظهر جوهرها. ثم غسها في بحر الرحمة حتى عمت بركتها،
ثم غلغلتها من نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم زين بنور الملائكة حتى أضاء
وعلا، ثم جعل ذلك النور أصلا لكل نور، فهو أولهم في المسطور، وآخرهم في
الظهور، وقالدهم في النشور، ومبشرهم بالسور، ومتوهمهم بالحيور، فهو مستودع
في ديوان الأنس مستقر في رياض الأنس وحضرة الأنس، ستر معنى روحانيته بستر
جسمانيته، وغطى عالم شهوده بعالم وجوده، فهو مستخرج في الكون مستنيط لأجله
الكون، وذلك أن الله تعالى كون الأكوان اقتدارا عليها لافقه قار إليها، وكان حكمته
في التكوين لإظهار شرف الماء والطين، فإنه أوجد ما أوجد ولم يقل في شيء من ذلك:
- إني جاعل في الأرض خليفة. وكان وجود الأدي فكانت حكمته في وجود الأدي
لإظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم لأنه حكمته الأجساد لاستخراج كاف الكثرية
«كنت كنزا مخفيا لا أعرف» فكان المقصود في الوجود معرفة موجدكم سبحانه،
وكان المخصوص بأنهم المعارف قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن معارف
الكل كانت تصدقوا وإيماننا ومعرفة صلى الله عليه وسلم مشاهدة وعيانا، ونور
معرفة صلى الله عليه وسلم نعرفوا، وبفضله عليهم اعترفوا فاستخرجهم من لياح حبة كثر
- كززع أخرج شطأه فأزروه - بصحابته - فاستغلظ - بقرابته - فاستوى على سوقه -
بصحبه ذوقه وقوة توفقه وشوقه، فلما ظهر هذا الغصن المحمدى رسما أورد عوده
ونما وانهل عليه صاحب القبول وهى، وتباشر بظهوره الجدنان وبشر بوجوده
الثقلان وتعطرت بقدمه الأكوان، وانتكست بمولده الأوثان، ونسخت بمجيئه
الأديان، ونزل بتصديقه القرآن، واهتزت طريبا شجرة الأكوان، وتحرك ما فيها من
الألوان والعبدان، وكان من أغصان هذه الشجرة من أخذ ذات الشمال ومال يجرى
الضلال، فلما أرسلت رياح الإرسال برسالة - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - استشفها
من سيقته من الحسنى قال إليها متعظا، وأما من كان مزكوما، أو من خلع
القبول محرما فإنه عصفت به عواصف القدرة فأصبح بعد نصارته بابسا، ووجه
سعاده هابسا وراج من رجاء فلاحه فانظا آيسا، وكان سر هذا الغصن لقاح شجرة

الجود ودرة صدفة الوجود، وكان من روح روحانيته روح - يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا - فهو مصباح ظلمة الكون
وروح جسد الوجود، لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض، وقال لها: انيا
طوعا أركرها قالنا: أنينا طائعين - فأجابه موضع الكعبة من الأرض ومع السماء
ما يحاذيه، فكانت تربة بقعة الكعبة، وكان محل الإيمان من الأرض، فلما أمر
الله بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام، فقبضت من سائر
الأرض من طيبها وخبيثها، فكانت طينة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مخلوقة من
موضع الكعبة التي هي محل الإيمان بالله تعالى، ثم عجن تلك الطينة بطينة آدم
عليه السلام، فكانت تلك الطينة بمنزلة الحميرة، ولولا ذلك لما أطافوا بالإجابة يوم
الإشهاد، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كنت ليا و آدم بين الماء والطين»
فكانت ذوات الوجود وبركته من ذرة وجوده، فلما أشهدهم على أنفسهم في
حضرة شروده قال - ألسنت بربكم قالوا بلى - فصرت في أجزاء ذراتهم تلك الحميرة
النبوية فانطلقت بإذن الله تعالى أنسنتهم بالتلبية قائلة فمن كانت طينته قابلة للتخمير
بما سبق في التقدير بقي معه ذلك التخمير باقيا فيه مستصحبا حتى ظهر إلى الحسن وظهر
في تلك الصورة فبرز ذلك المعنى محققا لتلك الدهوى، فأشرق في نور ذلك المعنى الروحاني
على ما يحاذيه من الجسد الجسماني، فأشرق الجسد بعد ظلمته فاستنارت الجوارح
أرشدها فعملت بالطاعة، وأما من كانت طينته خبيثة غير قابلة للتخمير وإيا أثرت
تلك الحميرة مقدار ما اعترف عند الإشهاد، وأخلصت في ذلك الإقرار في حاله
الاستقرار، ثم طال عليها الأمد ففسدت تلك الحميرة بفساد تلك الطينة، فكانه
كان مستودعا فاسترجع منه ما استودع إذ لم يكن لحفظها أهلا فهو مستودع أعني
الإيمان في قلوب الكافرين مستقر في قلوب المؤمنين، وهو معنى قوله صلى الله
عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» التي فطر الله الناس عليها، وهو تساويهم في
الإيمان في قول - ألسنت بربكم قالوا بلى - واستنوا في التلبية ونطقوا بالإجابة
لسريان تلك الحميرة النبوية في أجزاء ذراتهم، وقد سبق في علم الله تعالى ونفذ
تقديره، فمن تبقى على ذلك الإقرار لا يستحيل إلى الجحود والإنكار، وكل ما يحدث
في شجرة الكون من نمو وزيادة وأثمار وأفكار ومشابه شوق وعكم وذوق

وصفاء أضرار ونسيم استغفار وما ينمو به من الأعمال وتزكو به الأحوال وما تنور
من رياضات النفوس، وما نجاة القلوب، وما نال من الأسرار، ومشاهدات الكرم
وما يثبت به من أواخر الحكم، ولطائف المعارف، وما يصعد من طيب الأنفاس
وما يعقد من ورق الإيمان، وما ينشأ من رياح الارتياح وما يبنى على أصلها من
مراتب أهل الاختصاص، ومقامات الخواص، وما نال من الصدقين، وما نال من
المقربين، ومشاهدات الحبين، كل ذلك من إقحاق الغصن المحمدي، متوقفاً
نوره، مستمد من نماء نهر كوثه، مغزى بلباب بره، مربي في مهد هدايته
فلذلك حمت بركاته، وتمت على الخلائق رحمته. وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
فلما مهد لأجله الدار، وسخر من أجله الليل والنهار، ورسم الرسوم وحل
الأقطار ونوه بذكره وله على سره وقدره، وأخذ الميثاق على تصديقه وانتمسك بحبل
تحقيقه جلأ عروس شريعته على أنبائه وشيعته، ثم ختم بنبوته الأنبياء وبكتاب
الكتب وبرسالته الرسل، لمن احتجى بحمى شريعته سلم، ومن استمسك بحبل
ملته عصم، لما توسل به آدم عليه السلام سلم من الملام، ولما انتقل إلى صلب
إبراهيم الخليل صارت النار عليه برداً وسلاماً، ولما أودعته صدفة إسماعيل قد
بذبح عظيم، فثمة غصن أصحاب التين - يحبه ويحبونه - ثمرة غصن أصحاب النخل
سوما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - ثمرة غصن السابقين المقربين - محمد رسول الله
والذين معه أشداه على الكفار رحاء بينهم - فبركته على الآفاق قد حمت، وكتبه
قد تمت، خلق آدم على صورة اسمه لأن اسمه محمد، فرأس آدم دائرة بتلويها
على صورة الميم الأولى من اسمه وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء وبطنه على
صورة الميم الثانية ورجلاه في افتتاحهما على صورة الدال، فشكل خلق آدم على
صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وقولنا كون الأكوان على هيئة رسمه لأن
العالم عالمان عالم الملك وعالم الملكوت، فعالم الملك كعالم جسمانيته، وعالم الملكوت
كعالم روحانيته فكثيف العالم السفلي ككثيف جسمانيته ولطيف العالم العلوي
كلطيف روحانيته، فما في الأرض من الجبال التي جعلت في الأرض أو تاد الله
بمنزلة جهال عظامه التي جعلت أو تاد جسده، وما فيها من بحار مسجورة جارية

وغير جارية عذبة وغير عذبة فهي بمنزلة ما في جسده من دم جاري تيار العروق
وساكن في جداول الأعضاء واختلاف أذواقها؛ فنها ما هو عذب وهو ما الريق
يطيب بعجينه المساكل والمشارب، ومنها ما هو مالح وهو ماء العين بحفظه شحمة
العين، ومنها ما هو مر وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان وديب يصل إليها
فيقتله ذلك الماء؛ ثم في أرض جسده ما بنيت كالأرض الجرز والأرض السبخة التي
لأنبتت ويستحيل الثبوت فيها؛ ثم لما كان في الأرض بحار عظيمة تنفجر منها أنهار
وسواقي لنفع الناس بها كذلك في أرض جسده عروق غلاظ كالوتين الذي يث
الدم وتستمد العروق منه إلى ماثر الجسد ثم العالم العلوي وهو عالم السماء جعل الله
فيه شمساً كالسراج يستضيء به أهل الأرض، كذلك جعلت الروح في الجسد يستضيء
بها الجسد، فلو غابت بالموت لأظلم الجسد كظلمة الأرض إذا غابت عنها الشمس؛
ثم جعل العقل بمنزلة القمر يستنير في تلك السماء تارة يزيد وتارة ينقص، فابتدأه
صغير وهو هلال كابتداء عقل الصغير في صغره ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تامة ثم
يدو بالنقص فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين ثم يعود في النقص في تركيبه
وقوته؛ ثم جعل في السماء كواكب خمساً وهي الخمس الخمس - الجوازي الكنس - وهي
بمنزلة الحوام الخمس وهي الذوق والشم واللمس والسمع والبصر، ثم جعل في عالم
السماء عرشاً وكرسياً، فالعرش أوجده وجعل وجهه قابلاً لعباده إليه وعمل رفع الأيدي
إليه لاجل ذاته ولا يخاف من صفاته لأن الرحمن تعالى اسمه الاستواء نعمته وصفته،
ونعمته وصفته متصلة بذاته، والعرش خلق من خلقه لامتص به ولا ملاصق له
ولا محمول عليه ولا مفترق إليه؛ وأما الكرسي فهو وعاء أضراره وكثانة أنواره
ومستودع ما في دائرة توسع كرسبه السموات والأرض - فجعل الصدر بمنزلة الكرسي
لأن فيه تحصيل العلوم الصادرة بمنزلة الساحة على باب القلب والنفس بشرع منه
بابان إليها، فما صدر عن القلب من خير أو عن النفس من شر فهو محصل في
الصدر وعنه يصدر إلى الجوارح وهو معنى قوله تعالى - وحصل ما في الصدور -
وجعل القلب بمنزلة العرش لأن عرشه في السماء معروف وعرشه في الأرض مسكون
لأن عرش القارب أفضل من عرش السماء لأن ذلك العرش لا يسهو ولا يجهل ولا
يلترك وهذا عرش في كل حين ينظر إليه ويتجلى عليه وينزل من سما كرمه إليه

« ما وسعني شوقى ولا أرضى ووسعني قلب عبدى المؤمن ، ولما جعل في عالم الآخرة جنة ونارا للنعم والعذاب هذه خزنة الخير وهذه خزنة الشر ، كذلك جعل الخير الذى هو مكان سويده القلب جعله جنة عبده المؤمن لأنه محل المشاهدة والتجلى والمناجاة والمنازلات و منبع الأنوار ، وجعل النفس بمنزلة النار لأنها منبع الشر وعمل الوسواس وريح الشيطان ومحل الظلمة ، ثم جعل الروح والقلم نسخة كتاب الكون والخلق كوين وما كان وما يكون إلى يوم الدين ، وجعل اللسانكة تستنسخ ما يؤمر ون ينسخه من محو وإثبات وموت وحياة ونقص وزيادة فكذاك اللسان بمنزلة القلم والصدر بمنزلة اللوح ، فما نطق به اللسان رفته الأذهان في ألواح الصدور ، وما أرخته إرادة القلب إلى الصدر عبر عنه اللسان كالترجمان ، ثم جعل الحواس رسل القلب يستنسخ ما حصل فيها ، فالسمع رسول وهو جاسوسه ، والبصر رسول وهو حارسه ، واللسان رسول وهو ترجمانه ، ثم جعل في الإنسان ما هو دلالة على الربوبية وتصديق الرسالة المحمدية وذلك الهيكل الإنساني لما افتقر إلى مدبر وهو الروح وكان مدبره واحدا وكانت الروح غير مرتبة ولا مكيفة ولا متحيزة في شيء من الجسد ، ولا يتحرك شيء من الجسد إلا بشعوره به وإرادته له لا يحس ولا يحس إلا بها ، وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لا بد لهم من مدبر ومحرك ، ويلزم منه أن يكون واحدا عالما بما يحدث في ملكه قادرا على حدوده ، وأنه غير مكيف ولا متمثل ولا مرفى ولا متحيز ولا متبعض ولا محسوس ولا ملموس ولا مقبوس ، بل - ليس كمثل شيء - وهو السميع البصير - ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين ظاهر وباطن ، فرسوله الظاهر محمد رسول الله ورسوله الباطن جبريل ، فجبريل يأتيه بالوحى بين قومه ولا يحسونه ولا يعرفونه فكذاك كان لمدبر هذا الهيكل الإنساني وهو الروح رسولان باطن وظاهر فالرسول الباطن هو الإرادة بمنزلة جبريل يوحى إلى اللسان ، واللسان يعبر عن الإرادة وهو بمنزلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نيته وصدق رسالته جعل فيك أيضا دلالة على ما جاء به من تحقيق شريعته واتباع سنته فكان أصل الأيدي خمسة أشياء كل منها خمس ، فالأصل الأول ما بيني عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى أبيات الله الحرام »

الأصل الثاني وكانت الصلاة المفترضة خمسا ، والثالث الزكاة المفروضة في النصاب تخص والرابع - محمد رسول الله والذين معه - أبو بكر وعمر وعثمان وعلى - فهم خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الخامس أهل البيت خمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، فلما كان أركان الدين إقامة أركان شريعته وعجة صحابته ومودة قربائه جعل في أعضائك منها دلالة على ذلك خمسة ، فأنخسة التي بنى الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمس منك وهى السمع والبصر واللمس والشم والذوق لأنك تجد بهذه الحواس مذاق كل شيء ومعرفة كل شيء ، وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان أنخسة ذوق كل شيء وإدراك العرفان ومعرفة الرحمن وعلم الإيقان ، فحاسة البصر تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة ، قال صلى الله عليه وسلم « جعلت قرعة عيني في الصلاة » ، وحاسة اللمس تدعوك لأداء الزكاة ، قال الله تعالى - خذ من أموالهم صدقة - ، وحاسة الذوق تدعوك إلى ترك ذوق الطعام لإقامة ركعتي الصيام ، وحاسة السمع تدعوك إلى استماع الأذان - وأذن في النام بالحج - ، وحاسة الشم تدعوك إلى انتشاق أنفاس التوحيد « إلى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين » فهذه الحواس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس ، وجعل أصابعك الخمس في يمينك بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين معه هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وإن آدم عليه السلام لما خلق نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كانت الملائكة تستقبله وتسلم على نور محمد صلى الله عليه وسلم ، وآدم عليه السلام لم يره فقال : يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولى محمد صلى الله عليه وسلم ، فحواله إلى عضو من أعضائى لأراه فحواله إلى سبابته في يده التي فطر الله يدها في مسبحته فرفعها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله : وأن محمدا رسول الله ، فلذلك سميت المسبحة ، فقال : يا رب هل بقى في سبلي من هذا النور شيء ؟ قال : نعم : نور أصحابي ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، فجعل نور على في إمامه ، ونور أبى بكر في الوسطى ، ونور عمر في البصرة ، ونور عثمان في الخنصر ، وقيل إنما جعلت في يديك لتقبض برءوسهم على حب هؤلاء الخمسة ، ولا تفرق بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الله جمع بينهم بقوله تعالى - محمد رسول الله والذين معه - ثم جعل أصابعك الخمس في اليد اليمنى مذكورة بالخمسة أشباح ، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس

بقوله - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزلت هذه الآية فينا أهل البيت أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم جعل أصابع قدميك الخمس مشيرة لك مذكرة بانخس صلوات التي اقترضاها الله عليك فتقوم بها على قدميك لأنها خدمة الله تعالى في الأرض، وانخدمة إنما تكون من القدمين فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس، وأصابع قدمك اليمنى تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة وهي خمس دراهم، فالزكاة مقرونة بالصلاة فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة ثم جعل فيك ما يدل على الموت والبعث، وما يدل على نعم القبر وعذابه، وهو اللثوم، وما يراه الناس من منام سيء فيمتدب به فيصبر بالنوم كالميت فاقد الحس فلا تسمع له، ولا يصر له، ولا إدراك له، ثم جعل له شمعا وبصرا وإدراكا فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره، ويرى نفسه تذهب حيث يشاء ويأكل ويشرب، فهي بمنزلة ما يراه الميت في قبره من النعيم والعذاب في مدة البرزخ بين الموت والبعث، ثم يوقظك الله من نومك لآخر مرادك ولأعين اختيارك، فلو أردت أن لا تنتبه من ذلك فأنت تطيق أن لا تبعث، وهذا تركك من أنكر البعث بعد الموت وجهله، وهم الزنادقة، والدهرية، والفلاسفة، ورد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه ومسلته، وهم المعتزلة. ثم أعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاثة أصناف، فقال تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه - كالحيات والديدان - ومنهم من يمضي على رجلين - كالطير والآدمي - ومنهم من يمضي على أربع - كالذئاب - فمنهم صنف كالساجد، وصنف كالراكع، وصنف كالقائم فالقائم كالأشجار والجدران لا يطبقون ركوعا، والراكع كالذئاب لا يطبقون سجودا ولا قياما، والساجد كالخشرات لا يطبقون رفعا وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتزيمه - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعتهم وبسط لك في خلقه إن شئت أن تعبدته قائما وراكعا وساجدا فعلمت أنيجمع لك فضيلة جميع خلقه، فكذلك فرض عليك الصلاة، وجعلها تشتمل على سائر عبادته خلقه فكذلك فضيلة القوم والركع والسجد، وأنت المقصود من كل الوجود، وأنت خاصة العبيد لم أدا المعبود، فهذا معنى قولنا متقدما خلق الله آدم عليه

السلام على صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وخلق الكون على هيئة رسمه، وأعلم أن الملائكة الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون مستعملون لمصالحها قائمون بحقوقها لما فيها من خاصية هذا النفس المحمدي والنور الأحمدي، فأول ما أنساخ نهار الوجود من ظلمة ليل القدم شعثت أنوار الشمو من الحمدي في أفق جبين آدم عليه السلام فخرت الملائكة سجدا، وقالوا: ملك العرش محمد أبدا، فلما أمروا بالسجود فسجدوا وخصوصا بالشهود فشهدوا، وقبل فلم شكر أن هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها، ودولة هو عقدها وحلها فليكن منكم السفرة يسعون بالصحف المطهرة، وليكن منكم البررة بطوفون حول حبي هذه الشجرة، وليكن منكم الحملة يعملون لكل عامل عمله، وليكن منكم الكتاب يقومون على اعتبار من قد تاب، وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار بماء الاستغفار ويستغفرون لمن في الأرض، وليكن منكم الحفظة يحفظون عليهم أعمالهم، ويحسون ما عليهم وما لهم، وليكن منكم من يسعى في أوزانهم لينفروا الطاعة رازقهم، يقوم يرسلون الرياح، وقوم يسيرون السحاب وقوم يسجرون البحار، وقوم ينزلون ماء الأمطار، وقوم يحفظون الأقطار، وقوم ينشون الليل، وقوم يسبحون النهار، وقوم معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات، وقوم يرفعون الآفات، وقوم يزخرفون الجنان، وقوم يسعون للغيران فلما تمهدت الدار، ودار كأس إرادته فاستدار فأول ما استحضر إلى ذلك الحضر لميليس، وهو يرغل في ثياب التيسيع والتفديس لكنها محشوة بأذغال التديس، فلما حضر إلى ذلك الحضر، وشاهد جمال ذلك المنظر، ووقفت على هرفات المعرفة فأنكر وأصر على العصيان، وأصر واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقق: فلما قيل له اسجد في صفاء كاساتك فأبى واستكبر فتجاوز الكاس، وفاته حمية الأكياس، وبقي في ظلمة الغم والوحاس، وفش أكياس علمه وعمله، فإذا هي فلوس أكياس بقيت منقطعا في مفازة اللقطعة قاطعا للشعبة والشرعة، كلما تزايد كربه وتماظم عليه ضربه يستغيث بلسان فلا غلثهم ولا منيهم ولآمرتهم - والقدر يقول لا كتبهم منشور الأمان - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فسأل المالك الإنظار فأنظر ليكون قائد الكفار إلى النار، فكافة يعتمد عليها ذوو الذنوب

والأوزار ، فلذا زل أحدكم قال - إنما استعظم الشيطان - وإن عمل قال - هذا من عمل الشيطان - فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية - هذا يترك ما أمر به وذلك يفعل ما نهى عنه جمع بينهما القدر إذ قدر ، لأنه تعالى أمر وأراد خلاف ما أمر فأمر به الأمر سلبته الإرادة . فلما تعدياها حكم لإبليس أن لا يتعدياها وطلب الشقي فيما أخياه ، وجعل في عرصتها مقامه ، وأما آدم فإنه حن إلى دار المقامة ، وتذكر ليلياه وأباه ، فعاد على نفسه بالمقامة ، فنادى بين ندماء الندامة - ربنا ظلمنا أنفسنا - فنادى بشير قريبته بتفريج كربته - فلقى آدم من ربه كلمات - ولما الشقي لإبليس فانطلقت إليه خيول اللعنة مطلقاة الأعنة تبشره بطرده وبعده ، فأخرج منها مأمورا - فلما هبطوا - فتقلقل آدم قلقا ، وكاد أن يتمزق حرقا ، وقال : سيدي جرعث مرارة الصدود في الصعود فأعذني من حرارة القنوط في الهبوط ، فقبل له لأبأس عليك حتى تصل إلى مفرق فربقين - فربق في الجنة ، وفربق في السعير - فأخذ آدم ذات النبين ، وأخذ إبليس ذات الشمال فكان أصلا لأصحاب الشمال ، لكنهما لما اصطحبا واجتمعا فكانا للصحية أثر فكان محلهم من آدم وسيره معه مابلى شماله فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر فبرحوا في ظل ظلمة مخالفتهم فكفروا بتقريبهم منه وعذاتهم له ، وبقي من كان في الصفح الأيمن في نور معرفة آدم فسلموا من ظلمة إبليس لبعدهم عنه ، وأثر عليهم جوار من كفروا واستظل بظلمة ضلاله وهم أهل الصفح الأيسر وأثر ذلك في صفاتهم ، وسلمت لهم أنوار ذواتهم ومعارفهم ، فأرى تركبهم أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار هو من أثر ذلك الجوار ، وأشعة ذلك العذار ، وأعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر ونسب آخر وهو أنه لما أمر الله تعالى بقبض القبض التي خلقت منها آدم عليه السلام فهبط ملك الموت لذلك ، وكان إبليس يومئذ في الأرض قد استخلفه الله تعالى فيها مع جملة من الملائكة ، وقد مكث زمانا طويلا يعبد الله فقبض ملك الموت القبض من سائر الأرض وكان إبليس بطؤها بقده ، فلما عجن طينة آدم وصورت صورته من تلك الطينة إجماع خلق النفس من التراب الذي وطئه إبليس بقدمه ، وخلق القلب من التراب الذي لم يطأه إبليس بقدمه ، فاكتسبت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة من ملاسة وطء إبليس ، ومن هنا جعلت النفس مأوى

الشهوات ، وعيشه وسلطانه عليها لوطته لها ، ومن هنا جعل إبليس التكبر على آدم حيث وجدها من تراب قدمه ونظر إلى جوهر عنصره ، وهو النار فادعى التفخار حينئذ ومال إلى الاستكبار ، وهذا معنى قول الله سبحانه وتعالى - يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان - التي خلقت من تحت خطواته :

اعلم أنه لما نشأت شجرة الكون أبنت ألهصانا ثلاثة غصن ذات اليمين ، وغصن ذات الشمال ، وغصن نبت مستقبيا قويا ، وهو غصن السابقين فكانت روحانية محمد صلى الله عليه وسلم قائمة بالثلاثة أخصان متعلقة بها سارية فيها لكل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية قال الله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فكان حظ غصن أصحاب اليمين روحانية الهداية ، والمتابعة له والعمل بسنته وشريعته ، قال الله تعالى - الذين يقيمون الرسول النبي الأمي - الآية ، وكان حظ السابقين وروحانية القرى من والزنى لديه والصحية له - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الآية ، وكان حظ أصحاب الشمال من روحانية حايثهم في الدنيا وأمنهم من العقوبة المعجلة - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية ، فلما آن أن أوان ظهور جسدانيته صلى الله عليه وسلم إلى الوجود نبت غصن وجوده مستقبيا قويا ، فلما نبت أصله ونبت فروعها ناداه متولى سياسته - فاستقم كما أمرت - فكانت صفته صلى الله عليه وسلم الاستقامة ومقامه دار المقامة ، فلما استقام رحل عن الكونين ، ولما أقام نقل من مقام إلى مقام حتى استقر به المنزل فأقام ، فالمقام الأول مقام الوجود في الدنيا ، وهو قوله تعالى - يا أيها المدثر قم فأنذر - والمقام الثاني المقام المحمود في الآخرة ، وهو قوله تعالى - عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا - والمقام الثالث مقام الخلود في الجنة ، وهو قوله تعالى : - الذي أحلنا دار المقامة من فضله - والمقام الرابع المقام المشهود مقام قاب قوسين أو ربوّة العبود - ثم نادى فقل فكان قاب قوسين أو أدنى - الآية ، فهو المخصوص بالدنوء والعلو والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود ، لأن الوجود لما كان شجرة كان هو غمرتها ، وكان هو جوهرتها ، فالشجرة المشمرة إنما تثمر بالحبلة التي ينبت بها أصلها فلذا هزرت تلك الحبة وغذيت وربيت حتى نبتت وفرعت وأورقت واهترت وأثمرت ، فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحبة التي نبت منها هذه الشجرة ، فالحبة في البداية نقطة

حتى أظهرت صورة الشجرة ، والشجرة في النهاية بها ظهرت فأظهرت صورة تلك الحبة فكذلك بطونه صلى الله عليه وسلم في المعنى في السابق ، واختلافه وظهوره في الصورة في اللاحق واشتاراه ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كنته لبيا وأدم بين الماء والطين » فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة ، وهو مظهر صورته صلى الله عليه وسلم ، فما برح بلسان القدم مذكورا ، وفي طي العدم ماشورا ، وما مثال ذلك إلا مثال تاجر حمد إلى فراشه وبزه فطواه في خزنة ملكه وحباه أثوابا بعضها فوق بعض فأول ثوب دججه وطواه ، هو آخر ثوب أظهره وأبداه ، كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان أولا لكل وجودا وآخرهم ظهورا وخروجا ، فلما تولى مقصارا لقدر سياسة هذا الغصن النبوي فغذاه بلباب بره وسقاه بكأس حبهته وجماء في قلة حماء وروياه حتى اهتزت رياه ، وتفرعت نفحات شلواه فكانت تلك النفحات غذاء أرواح العارفين ، ونور بصائر المؤمنين وريحانة حضرة الخبيين ، وهرصة مجمع العاصين ، وغياث مستنق المذنبين ، فإن هب مع تلقاء أصحاب الشمال مسموم خطيئة أو عاصم عصية ، فأمال غصنا قد ألبته الله نالها ، قال به إلى حمل من أعمال أهل الشمال تلاعب بفرعه ، وأثر ذلك في خضرة لضاورة زهره ، لكن أصله في أرض الإيمان ثابت لما يضره ما حدث في فرعه للنايب ، إذا تداركه صاحب سيئاته فحماه من ذلك الهوى ، وأماله إلى طريق الاستقامة بعد الطوى ، وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى ، فهناك يقبل منه مانوى ، ويورق غصن إيمانه بعد مازوى ، ويقوم خطيب الاعتذار منه وهو الصادق فيما نقل وروى ، ويقسم بالنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى ، ثم اعمل أن الغصن الحمدي قد حصل من روحانية ماهو مادة الأرواح ، ومن جسمانية ماهو مادة الأشباح ، فأما مادة روحانيته جوده في سر قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - إلى قوله تعالى - مصباح - يعنى مصباح نور نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد جعله مصباح مشكاة الوجود فشيء الكون بالمشكاة ، وسيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالزجاجة والنور الذى هو قلبه بالمصباح ، فأشرق نور باطنه على ظاهره ، كما أشرق المصباح في الزجاجة ، فصار نور المصباح نارا والزجاجة نورا لصفاتها ، فصار نورا وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه وإتباعه له والدخول في شيعته ،

والعمل بشريعته ، وهو معنى قوله تعالى - أنزل من السماء ماء بقدر - فشيء الله تعالى حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم بالماء النازل من السماء بقدر لأن الماء حياة كل شيء - وكذلك كان نوره صلى الله عليه وسلم حياة كل قلب ووجوده رحمة لكل شيء ، ثم بين انتفاع الناس بنوره ، وما نالهم من بركته صلى الله عليه وسلم بالأردية فجعل القلوب أودية منها الكبير والصغير والجبل والحقير : فاحتل كل قلب حل قدر وسعه ومقدار مادته من الماء وتطرق السيل إليه - قد علم كل أناس مشربهم - ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابى المحتل حل وجه الماء الصافي وهو مر به الظاهر من الأكل والشرب والكساح ، ومشاركة الناس في أفعالهم وأحوالهم فذلك كله يذهب ويتلاشى - وأما ما يبعث الناس - من نبوته ورسالاته وحكمته وعلمه ومعرفته وشفايته - فيمكث في الأرض - واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك أنه خلق من لطيف وكثيف ليكون كامل الخلق كامل الوصف خلقه الله تعالى من ضدين جسماني وروحاني فجعل جسمانيته وبشريته الملاقاة البشر ، ومقاييس الصور ، فجعل له قوة يلاقي بها البشر فيمدحهم بمادة بشريته فيكون معهم بهم ليكون هم لهم - إنما أنا بشر مثلكم - يجانسهم ويشاكلهم لأنه لورز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية لما أطاؤوا مقابلته ، وما استطاعوا مقاومته فلذلك من الله تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم - ثم جعل له قوة وروحانية يقابل بها عالم الروحانيين وملوكوت العلويين ليكون تام البركة تام الرحمة الروحانيون يشهدون جسمانيته ، ثم جعل له وصف ثالث خاص خارج عن هذين الوصفين وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي يثبت به عند تحمل صفات الربوبية ، ويطبق به مشاهدة الحضرة الإلهية ، ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية ، ويسمع به خطاب الإشارات القدسية ، وينشق به عطر الفحات الرحمانية ، ويعرج به إلى المقامات العلية البية ، وهو معنى سر قوله صلى الله عليه وسلم - لست كأحد منكم ، وقوله صلى الله عليه وسلم - في وقت لا يعنى فيه غير ربى سبحانه ، فهذا المقام ليس يختص به ملك مقرب ولا نبي مرسل ، كأس لم يتناوله سواه ، فهو من ماجليت لإعليه وهو هذا المقام المحصور به وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها وأما الثلاثة الأخر فلها كرامات لسائر الخلق ليتناول كل منهم ما قسم له من النصيب ، فأما المقام

المحمود فمخصوص بعالم الصورة وهو عالم الملك في الدنيا فيقتناولهم وجود طمأنينة وبركة نبوته ورسالته - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - أقيم على منبر - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - الآية فهو في الدعوة محييهم ، وفي النصيحة خطيئهم ، ومن الزلزلة طيبهم ، ومن الهبة نصيبهم فهذا مخصوص بأهل الدنيا ، وأما المقام الثالث فهو المقام المحمود في القيامة ، وذلك نصيب الملأ الأعلى فينالهم من ركة مقامه ومشاهدة جماله وسماع كلامه - يوم يقوم الروح والملائكة - الآية ، يؤذن له في الخطأ ، فيقوم خطيئاً ، والملائكة صفواً وخللاً وقوفاً ، فيفتتح خطيئته بالشفاعة لامته بنادى أمي ، فيجيبه رحي رحمتي . وأما المقام الثالث فالشهود : وذلك في دار الخلود لينال أهل الجنة منه نصيبهم تمتع بمشاهدته الحور ، وتتشرف بحلوه القصو ، ويقدم لقدمه السرور ، وتزداد الجنة نوراً ، وترفع بقدمه الحجب وتزول الشرور . المقام الرابع : هو المقام الذي يخص به صلى الله عليه وسلم وهو مقام رؤية المعبود جل وعلا ، وهو مقام قاب قوسين أو أدنى ، وذلك أنه لما كان ثمرة شجرة الكون ودرة صدفه الوجود وسره ، ومعنى كلمة كثر ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها ، وإنما كانت مرادة لثمرتها فهي بحمية محروسة لاجتناء ثمرتها واستجلاء زهرتها ، فلما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدي مثمر هاوز فها إلى حضرة قربه ، والطواف بها على ندمان حضرتها ، قيل له : يا قيم أي طالب قم فإن لك طالب قد ادشرك مطالب ، فأرسل إليه أخص خدام الملك ، فلما ورد عليه قادماً وإفاه على فرشته أنما ، فقال له يا جبريل إلى أين ؟ فقال : يا محمد ارتفع الآن من البين فإني لأعرف في هذه النوبة أين لكني رسول القدم أرسلت إليك من جملة الخدم - وما ننزل إلا بأمر ربك - قال : يا جبريل فما الذي مراد مني ؟ قال : أنت مراد الإرادة مقصوراً المشيئة فالكل مراد لأجلك ، وأنت مراد لأجله ، وأنت مختار الكون ، أنت صفوة كأس الحب ، أنت درة هذه الصدفه - أنت ثمرة هذه الشجرة أنت شمس المعارف ، أنت بدر اللطائف مامهت الدار إلا رفعة محلك ما هي هذا الجمال إلا أرضك ماروق كأس الحبة إلا لشريك ، فقم فإن الموائد لكرا متلك مملودة ، والملأ الأعلى يتباشرون بقدومك عليهم ، والكروبيون يتهللون بورودك إليهم ، وقد نالهم شرف وروحانيتك فلا بد لهم من نصيب جسمانيتك ، فشرف عالم

الملوك كما شرفت عالم الملك وشرف بوط - قديمك قمة السماء كما شرفت بهما آدم البطحاء . قال : يا جبريل ، الكرم يدعوني فإذا يفعل في ؟ قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال هذا لي فما ليعالي وأطفائي ، فإن شر الناس من أكل وحده قال - ولست بعطيك ربك فترضى - . قال يا جبريل : الآن طاب قلبي ها أنا ذاهب إلى ربى ، فقرر له البراق ، فقال ما لي بهذا ؟ قال مركب العشاقي ، قال أنا مركبي شرق ، وزاد ثوق ، ودليل ليلى أنا لا أصل إليه إلا به ، ولا يهني عليه إلا هو وكيف يطيق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل أثقال عبته ، ورواى معرفته ، وأسرار أمانيه التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال وكيف تعليق أن تدل في وأنت الحائر عند سدرة المنتهى ، وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى ، يا جبريل : أين أنت منى ولى وقت لا يسعني فيه غير ربى - يا جبريل إذا كان محبوبي ليس كمثل شيء ، فأنا لست كأحدكم ، المركوب يقطع به المسافات والدليل يستدل به إلى الجهات ، وإنما ذلك محل الحدوث ، وأنا جبري مقدس عن الجهات منزه عن الحدوث لا يوصل إليه بالحركات ، ولا يستدل عليه بالإشارات فن حرف المعاني حرف ما أعاني فلم إن قرب مني مثل قاب قوسين أو أدنى فوقعت هيئة الوقت على جبريل ، فقال : يا محمد إنما جئني في إليك لا كون خدام دولتك وصاحب حاشيتك وجيء بالركب إليك لإظهار كرامتك ، لأن الملوك من هادتهم إذا استزأروا حينها أو استدعوا قريباً وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم أرسلوا أخص خدامهم وأعز دوابهم لنقل أقدامهم فجنبتك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك ، ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخطأ وقع في الخطأ ، ومن ظن أنه محجوب بالخطأ فقد حرم العطاء ، يا محمد إن الملأ الأعلى في انتظارك ، والجنان قد فتحت أبوابها وزخرقت رحابها وزينت أنرابها وروق شراها كل ذلك فرحاً بقدومك وسروراً بورودك ، والبلية ليلتك : والدولة دولتك ، وأنما تخلفت منتظر هذه الليلة ، وقد جعلتك الوسيلة في حاجة ، قلت فيها حيلتي ، وانقطعت وسياقي ، فأنا فيها حائر العقل ذاهل الفكر داهش السر مشغول اليال زائد البهال يا محمد حيرني أو فقتني في مبادئ أوله وأبده ، فجئت في الميدان الأول فوجدت له أول ، وملت إلى الميدان الآخر ، فإذا هو في الآخر أول ، فطلعت رقيقاً إلى ذلك

الرفيق ، فظناني ميكائيل في الطريق ، فقال لي : إلى أين ؟ الطريق مسدودة والأبواب
دونه مردودة لا يوصل إليه بالأرمان المدودة ولا يوجد في الأماكن المحدودة :
قلت : فما وقرنك في هذا المقام ؟ قال : شغاني ميكائيل البحار ، وإزال الأمطار ،
وإرسالها في سائر الأنطار ، فأعرف كم أجابها مددا ، وكم تغدق أمواجه يدا ،
ولا أعرف للأحذية أمدا ، ولا لفردية عددا : قلت : فأين إسرائيل . قال : ذلك
أدخل في مكتب التعليم يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ ، ويستنسخ منه ما هو
مبروم ومنقوض ، ثم يقرأ هل صبيان التعليم في مثال - ذلك تقدير العزير العليم -
ثم هو في زمن تعلمه لا يرفع رأسه حياء من معلمه ، فطرقة عن النظر مقصور ،
وقلبه عن الفكر محصور ، فهو كذلك إلى يوم ينتفخ في الصور . قلت : فهل نسأل
العرش ، ونستديه ونستنسخ منه ما علمه ونستعليه ، فلما سمع العرش مانع فيه
اهتز طربا وقال لا تحرك به لسانك ولا تحدث به جنانك ، فهذا سر لا يكشفه
حجاب ، وسر لا يفتح دونه باب ، وسؤال ليس له جراب ، ومن أنا في الين حتى
أعرف له أين ؟ وما أنا إلا مخلوق من حرقين ، وبالأمس كنت لا أثر ولا عين ، من
كان بالأمس عدما مفقودا كيف يعرف رؤية من لم يزل موجودا ، ولا والدا
ولا مولودا - وهو سيقني بالاستواء ، وقهرني بالاستيلاء ، فلولا استواؤه لما استويت
ولولا استيلاؤه لما أهديت ، استوى إلى السماء وهي دخان ، واستوى على العرش
لقيام البرهان فوعزته لقد استوى ، ولا علم لي بما استوى ، وأنا والزير بالقرب
منه على حد سوى ، فلا أحبط بما حوى ، ولا أعرف ما زوى ، ولكني هبلة ؛
ولكل هبة مانوى ، ثم إنني أخبرك بقصتي ، وأنت إنيك شكوى غصتي ، أقسم بعلي
هزته ، وقوى قوته لقد خلقتني ، وفي بحار أحديته غرقتي ، وفي بيده أبديته
حيرتي ، نارة يطلع من مطالع أبديته فيهشني ، ونارة يذنبني من مواقف قربه
فبؤسني ، ونارة يمتجج بحجاب عزته فبرحشني ، ونارة يناجيني بمناجاة لطفه
فيطربني ، ونارة يواصلني بكاسات حبه فيسكرني ، وكلما استعديت من عريدة
سكرى ، فال لسان أحديته - إن تراني - فلبت من هبته فراقوا تمزقت من محبة فلقا ،
وصعقت من تجل عظمته كما خر موسى صمعا ، فلما أفقت من سكرة وجدني به
قبل لي : أيها العاشق هذا جمال قد صنعه ، وحسن قد حجبناه ، فلا ينظره إلا حبيب

قد صلفناه ، ويتم قدر ببناءه ، فإذا سمعت - سبحان الذي أسرى بعبده - ففعل
على طريق هروجه إلينا وقدمه علينا ، لعلك ترى من يرانا ، وتفوز بمشاهدة من
لم ينظر إلى مولانا ، يا محمد إذا كان العرش مغوقا إليك ، فكيف لا أكون خادما
يديك ، قدم إليه مركبه الأول : وهو البراق إلى بيت المقدس ، ثم المركب الثاني :
وهو المعراج إلى سماء الدنيا ، ثم المركب الثالث : وهو أجنحة الملائكة من سماء
إلى سماء ، وهكذا إلى السماء السابعة ؛ ثم المركب الرابع : وهو جناح جبريل
عليه السلام إلى سدرة المنتهى ، فتخلف جبريل عليه السلام عندها ، فقال :
يا جبريل ، نحن الليلة أضياك ، فكيف بتخلف المضيف عن ضيفه ، أههنا
يترك الخليل خليله ؟ قال يا محمد أنت ضيف الكريم ، ومدعو القديم ، لو تقدمت الآن
بقدر أتملة لا تحرق - وما منا إلا له مقام معلوم - قال يا جبريل إذا كان كذلك ألك
حاجة ؟ قال : نعم ، إذا انتهى بك إلى الحبيب حيث لا تنتهي ، وقبل لك :
ها أنت وها أنا ، فاذا كرتي عند ربك ، ثم زج به جبريل عليه السلام زوجة فخرق
سبعين ألف حجاب من نور ، ثم تلقاه المركب الخامس : وهو الرفرف من
نور أخضر ، قد سد ما بين الخافقين فركبه حتى انتهى به إلى العرش فعمسك العرش
بأذنه وناداه بلسان حاله وقال : يا محمد ، إلى متى تشرب من صفاء وقنك
آمتا من معتكركه ، نارة يتشوق إليك حبيبك ويقول إلى سماء الدنيا ، ونارة
يطوف بك على ندمان حضرته ويجعلك على رفرف رافته - سبحان الذي أسرى
بعبده - ونارة يشهدك جمال أحاديثه - ما كذب الفؤاد ما رأى - ونارة يشهدك جمال
معدنائه - ما زاع البصر وما طغى - ونارة يطالعك على سرائر ملكوته - فأوصي إلى
عهد ما أوصى - ونارة يذنبك من حضرة قربه - فكان قاب قوسين أو أدنى -
يا محمد ، هذا أوان الظلمان إليه واللاهفان عليه والتمحير فيه لا أدرى من أي جهة
آتبه ، جملي أعظم خلقه ، فكنت أعظمهم وأشد هم هو قاتمته ، يا محمد خلقتني يوم
خلقتني فكنت أرفع من هبة جلالة ، فكتب لي قائمي : لا إله إلا الله فازددت
لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا ، فلما كتب علي محمد رسول الله سكني لذلك قلق
وهذا روعي ، فكان اسمك أمانا قلبي وطمانينة لسري ورقية لقلبي ، فهذه بركة
وضع اسمك علي ، فكيف إذا وقع جميل نظرك لي ، يا محمد أنت المرسل رحمة

العالمين ولا بد لي من نصيب في هذه اليلة ، ونصبي من ذلك أن تشهد لي بالبراءة من النار بما نسبته إلى أهل الزور ، وتقره على أهل الغرور فإنه أخطأ قوم فضلو وظنوا أني أسع من لأعدائه ، وأهل من لاهيته له ، وأحيط بمن لا كفية له ، يا محمد من لأعدائه ولا عدل صفاته ، فكيف يكون مفتقرا إلى أوعدمو لا على ، فإذا كان الرحمن اسمه ، والاستواء صفته ونعته ، وصفته ونعت متصلا بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني ولأنامته ولا هو مني ؟ يا محمد وعزته لست بالقرب منه وصلا ، ولا بالبعد عنه فصلا ، ولا بالمطبق له حلا ، ولا بالجامع له شملا ، ولا بالواجد له مثلا ، بل أوجدني من رحمته منة وفضلا ، ولو محققا لكان فضلا منته وهدا ، يا محمد أنا محمول قدرته ومعمول حكيمته فكيف يصح أن يكون الحامل محمولا . فلا تغف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشعولا . فأجابه لسان حاله صلى الله عليه وسلم : أيها العرش ، إليك عني ، فأنا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ، ولا تشوش علي خلوتي ، فما في الوقت صعة لعتابك ولا يحمل لخطأبك ، فما أعاره صلى الله عليه وسلم طرفا ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفا . ما زاغ البصر . ثم قدم المركب السادس وهو التأيد ، فنودي من فوقه ولم ير حافظك قد أمك ها أنت وربك ، قال : فبرقت متعجرا لا أهرق ما أقول ولا أدري ما أفعل إذ وقعت على شفتي قطرة أجلي من العسل وأبرد من الثلج وألين من الزبد وأطيب ريحا من المسك ، فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل ، فجرى علي لساني : التحيات المباركات لله الصلوات الطيبات لله ، فأجبت السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فأشركت إخواني الأنبياء فيها خصصت به ، فقلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أراد بهم الأغنياء عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه رأى ربه قال صدق وكنت معه متمسكا بأذنيه لمشاركه في مقاله ، قيل : كيف ؟ قال في قوله : السلام علينا ، فأجابه الملائكة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله ، قال : ثم نوديت اذن يا محمد فدنوت ثم وقفت وهو معني قوله عز وجل - ثم دنا فتدلى - وقيل دنا محمد في السؤال ، فتدلى ، فقدم للرب عز وجل . قيل دنا بالشفاعة ، وتقرب إلى الرب بالإجابة ، وقيل دنا بالخدمة ، وتقرب

للرب بالرحمة - ثم دنا فتدلى - معناه : دنا محمد من ربه فتدلى عليه الوحي من ربه دنا بلطافة فتدلى عليه رأفة ورحمة ، لا يوصف بقصع مفازة ولا مسافة ، قد ذهب الآن مع البين وتلاشى الكيف واضمححل الآن ، فكان قاب قوسين ، فلو اقتصر على قاب قوسين لاحتمل أن يكون للرب مكان ، وإعاقوله - أو أدنى - لثنى المكاف وكان معه حيث لا مكان ولا زمان ولا أوان ولا أكون ، فنودي : يا محمد تقدم فقال : يا رب إذا انتفى الآن فأين أضع القدم ؟ قال : ضع القدم على القدم حتى يعلم لكل أني منزّه عن الزمان والمكان والأكون ، وعن الليل وعن النهار ، وعن الحدود والأقطار ، وعن الحد والمقدار ، يا محمد انظر فتنظر فرأى نورا اسطاعا فقال : ما هذا النور ؟ قيل ليس هذا نورا ، بل هوجنات الفردوس لما ارتقيت صارت في مقابلة قدميك ، وما تحت قدميك فداء لقدميك ، يا محمد مبدا قدمك منقطع أوهام الخلائق ، يا محمد مادمت في سير الآن ، جبريل دليلك ، والبراق مركبك فلذا ذهب المكان ، وغبت عن الأكون ، وانتفى الآن ، وارتفع البين من بين ، ولم يبق إلا قاب قوسين ، فأنا الآن دليلك ، يا محمد أفتح لك الباب ، وأرفع لك الحجاب ، وأسمعك طيب الخطاب في عالم الغيب ، وحدثنى تحفيقا وإيمانا فوحدني الآن في عالم الشهود مشاهدة وعيانا ، فقال : أعوذ بعفوك من عقوبتك ، فقيل هذا لعصاة أمك ليس هذا حقيقة مدعي وحدني ، فقال : ولا أحصى نناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ؟ فقال : يا محمد إذا كل لسانك عن العارة فلا أكذوله لسان الصدق - وما ينطق عن الهوى - فإذا ضل حيالك عن الإشارة فلا جعلن عليك خلة الهداية - ما زاغ البصر وما طغى - ثم لأعبرنك نورا انظر به جمالي وممعاتسع به كلالتي ، ثم أعركك بلسان الحال سعي عز وجل على وحكمة فنظرك إلى فكأنه يقول مشيرا : يا محمد - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - والشاهد مطالب بحقيقة مشهده ، ولا يجوز له الشهادة على غائب فأريك جنتي لتشاهد ما أعددت له ولولائي ، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت له لأعدائي ، ثم أشهدك جلالتي وأكشفت لك عن جمالي لتعلم أني منزّه في كمال عن المثل والشبيه والبدل والنظير والمشير وعن الحد والقد ، وعن الحصر والعد ، وعن الجوز والفرد ، وعن المواصلة والمفصلة ، والمماثلة ، والمساكلة ، والمجانسة ، والملازمة ، والمباينة ، والممازجة ، يا محمد

إني خلقت خلقى ودعوتهم إلى ، فاختلقوا على ، فقوم جعلوا العزير ابني ، وأن يدي
مغلولة ، وهم اليهود ، وقوم زعموا أن المسيح ابني ، وأن لي زوجة وولدا ، وهم
النصارى ، وقوم جعلوا لي شركاء وهم الوثنية ، وقوم جعلوا صورته وقوم المصنعة
وقوم جعلوا في عهودا وهم المشبهة ، وقوم جعلوا في معدن ما وهم المعطلة ، وقوم زعموا
أنى لا أرى في الآخرة وهم المعتزلة ، وها أنا قد فتحت لك بابى ، ووفعت لك
حجابى ، فانظر يا حبيبى يا محمد هل تجد فى شيئ مما نسبونى إليه ، فرأه صلى الله
عليه وسلم بالنور الذى قواه به ، وأيده به من غير إدراك ولا إحاطة فردا صمدا
لا فى شيء ، ولا على شيء ، ولا قائما بشيء ، ولا مفتقرا إلى شيء ، ولا هيكلا
ولا شبيها ولا صورة ، ولا جسما ، ولا محزرا ، ولا مكيفا ، ولا مركبا ليس كشيء
شئ ، وهو المسيح البصير . فلما كلمه شفاها وشاهده كفاها ، فقال : يا حبيبى
يا محمد لا بد لهذه الخلق من سر لا يداع ، وزمن لا يشاع . فأوحى إلى عبده ما أوحى .
فكان سر من سر فى سر :

وصلى اللهم وسلم وبارك على أشرف مخلوقائك صيدنا ومولانا محمد بجر أنوارك
ومعدن أمراك ، ولسان حجتك ، وإمام حضرتك ، وهرس مملكته ، وطراز
ملكك ، وخزان رحمتك ، وطريق شريعتك : وسراج جنتك ، وعين حقيقةك
المتلذذ بمشاهدتك ، عين أحيان خلقك ، المقتبس من نور ضيائك ، صلاة تحمل بها
حقائقى ، وتفريجها كربتى ، وتقضى بها أربى ، وتبلغنى بها طلبة ، صلاة دائمة بدوامك
باقية ببقائك ، قائمة بذاتك ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنايا رب العالمين ،

• • •

وحسينا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .
(تمت شجرة الكون ، ويلها : حكاية إبليس اللعين)

حكاية إبليس

فما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم

بإبليس الخبيث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين ،
وعلى آله الطاهرين ، وصحبه أجمعين :

عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال
« كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت رجل من الأنصار فى جماعة فنادى
مناذ يأهل المنزل أأذنون لى بالدخول ولستم إلى حاجة ؟ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أتعلون من المناذى ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا إبليس اللعين لعنه الله تعالى ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنه أناذن لى بارسل الله أن أقتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر
أما علمت أنه من المظنن إلى يوم الوقت المعلوم أو لکن افتحوا له الباب فإنه مأمور
فأفهموا عنه ما يقول واسمعوا منه ما يحدركم . قال ابن عباس رضى الله عنهما ففتح
له الباب فدخل علينا فإذا هو شيخ أعور كوسج ، وفى لحيته سبع شعرات كشعر
الفرس وعيناه مشقوقتان بالطول ورأسه كراس القيل الكبير وأنابه خارجة
كأنياب الخنزير وشفتهاه كشفتى الثور ، فقال : السلام عليك يا محمد السلام عليك
يا جماعة المسلمين فقال الذى صلى الله عليه وسلم السلام لله باليمن قد جمعت حاجتك
ماهى ؟ فقال له إبليس يا محمد ما جئتك اختيارا ولكن جئتك اضطرابا ، فقال النبي
صلى الله عليه وسلم وما الذى اضطرك ؟ لعين ؟ فقال أنا فى ملك من عند رب العزة فقال
إن الله تعالى بأمرى أن تأتى محمد صلى الله عليه وسلم وأنت صاغر ذليل متواضع وتخبره
كيف مكرك بيني آدم وكيف اغواوك ثم وتصدقه فى أى شيء يسألك ، فوعز فى
وجلا لى لئن كذبت بكذبة واحدة ولم تصدقه لأجعلتك رمادا تذروه الريح ولا تثنى

الأعداء بك ، وقد جئت بك يا محمد كما أمرت فاسأل عما شئت ، فإن لم أصدقك فيما سألتني عنه شئت لي الأعداء وما شئء أصعب من شناعة الأعداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا فأخبرني من أبغض الناس إليك ؟ فقال أنت يا محمد أبغض خلق الله لي ومن هو على مثلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما ذا تبغض أيضا ؟ فقال شاب تبي وحب نفسه لله تعالى ، قال ثم من ؟ قال : عالم ووع عرفته أنه صبور قال ثم من ؟ قال من يدوم على طهارة ثلاثة ، قال ثم من ؟ قال فقير صبور إذا لم يصف فقره لأحد ولم يشك ضره ، قال ومن يدريك أنه صبور ؟ قال يا محمد إذا شكنا ضره مخلوق مثله ثلاثة أيام لم يكتب الله له عمل الصابرين ، قال ثم من ؟ قال غني شاكرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شكور ؟ قال إذا رأته يأخذ من حله ويضعه في محله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون حالك إذا قامت أمتي إلى الصلاة ؟ فقال يا محمد تلحقني الحمة والرعدة ، قال ولم العين ؟ قال إن العبد إذا سجد لله سجدة رفعه الله درجة ، قال فإذا صاموا ؟ قال أكون مقيدا حتى يفطروا ، قال فإذا حججوا قال أكون بمنى ، قال فإذا قرءوا القرآن ، قال : أذوب كما يذوب الرصاص على النار قال فإذا تصدقوا ، قال : فكأنما يأخذ الصدوق المنتشار فيجعلني قطعة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولم ذلك يا أبا مرة ؟ قال فإن في الصدقة أربع خصال وهي أن الله تعالى ينزل في ماله البركة ويحببه إلى خلقه ويتجمل صدقته حججا بينه وبين النار ويدفع بها عنه العاهات والبلايا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما تقول في أبي بكر ؟ فقال يا محمد لم يطعن في الجاهلية فكيف بطعن في الإسلام ، قال فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ قال والله ما لقيته إلا وهريث منه ، فما تقول في عثمان ابن عفان ؟ قال أمتحي بمن استحيته من ملائكة الرحمن ، قال فما تقول في علي ابن أبي طالب ؟ قال لقيت سلمت منه رأسا برأس ويتركني وأتركه ولكنه لم يفعل ذلك قط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أسعد أمتي وأشقاك إلى يوم معلوم ، فقال له إبليس اللعين : هيات هيات وأين سعادة أمتك وأنا حي لا أموت إلى يوم مأموم ، وكيف تفرح على أمتك وأنا أدخل عليهم في مجاري الدم واللحم وهم لا يرونني ، فالذي خلقتني وأنظرني إلى يوم يبعثون لأعوبتهم أجمعين

جاهلهم وعالمهم وأميهم وقارثهم وفاجرهم وعابدهم لإعباد الله المخلصين ، قال ومن المخلصون عندك ؟ قال أما علمت يا محمد أن من أحب الدرهم والدينار ليس بمخلص لله تعالى ، وإذا رأيت الرجل لا يحب الدرهم والدينار ولا يحب المدح والنساء علمت أنه مخلص لله تعالى فتركته ، وإن العبد مادام يحب المال والنساء وقلبه متعلق بشهوات الدنيا فإنه أطوع ممن أصف لك ، أما علمت أن حب المال من أكبر الكبائر ، يا محمد أما علمت أن حب الرياسة من أكبر الكبائر وأن التكبر من أكبر الكبائر ، يا محمد أما علمت أن لي سبعين ألف ولد ولكل ولد منهم سبعون ألف شيطان فمنهم من قد وكلته بالعلماء ومنهم من قد وكلته بالشباب ومنهم من قد وكلته بالمشايخ ومنهم من قد وكلته بالعجائز . أما الشيان فليس بيننا وبينهم خلاف وأما الصبيان فيلعبون بهم كيف شاءوا ، ومنهم من قد وكلته بالعباد ومنهم من قد وكلته بالزهاد فيدخلون عليهم فيخرجونهم من حال إلى حال ومن باب إلى باب حتى يسبهم بسبب من الأسباب فأخذ منهم الإخلاص وهم يعبدون الله تعالى بغير إخلاص وما يشعرون ، أما علمت يا محمد أن بر صبيها الرأب أخلص لله سبعين سنة حتى كان يعافى بدعوته كل من كان سقيا فلم أتركه حتى زنى وقتل وكفر وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين - أما علمت يا محمد أن الكذب مني وأنا أول من كذب ومن كذب فهو صديقي ومن حلف بالله كذبا فهو حبيبي ، أما علمت يا محمد أني حلفت لأدم وحواء بالله إني لكما لمن الناصحين ، فالتين الكاذبة سرور قلبي والغيبة والنجمة فاكهتي وفرحي وشهادة الزور قرة عيني ورضائي ومن حلف بالطلاق بوشك أن يأثم ولو كان مرة واحدة ولو كان صادقا فإنه من حودسانه بالطلاق حرمت عليه زوجته ثم لا يزالون يتناسلون إلى يوم القيامة فيكفرون كلهم أولاد زنا فيدخلون النار من أجل كلمة ، يا محمد إن من أمتك من يؤخر الصلاة ساعة فداعة كلما يريد أن يقوم إلى الصلاة أزمته فأوسوس له وأقول له الوقت باق وأنت في شغل حتى يؤخرها ويصلبها في غير وقتها فيضرب بها في وجهه فإن هو غلبني أرسلت إليه واحدة من شياطين الإنس تشغله عن وقتها فإن غلبني في ذلك تركته حتى إذا كان

في الصلاة قلت له انظر يمينا وشمالا فيظن فهد ذلك امسح بيدي على وجهه واقبل ما بين عينيه واقول له قد اتيت مالا يصلح ابدا ، وانت تعلم يا محمد ان من اكثر الالتفات في الصلاة يضرب الله به وجهه فان غلبني في الصلاة وصلى وحده امرته بالجملة فينقرها كما ينقر الذبلك الحبة ويبادر بها فان غلبني وصل في الجماعة ألجمته بلجام ثم ارفع رأسه قبل الإمام وأضعه قبل الإمام وانت تعلم ان من فعل ذلك بطلت صلاته وبمسح الله رأسه رأس حمار يوم القيامة ، فان غلبني في ذلك امرته أن يفرغ أصابعه في الصلاة حتى يكون من المسيحين وهو في الصلاة ، فان غلبني في ذلك نفخت في أنفه حتى يتنأب وهو في الصلاة فإن لم يضع يده على فيه دخل الشيطان في جوفه فيزداد بذلك حرصا في الدنيا وسبعا لم يكون سميعا مطيعا لنا ، وأمر سعادا لأمتك وأنا أمر المسكين أن يبدع الصلاة وأقول له ليست عليك صلاة إنما هي على الذي أنعم الله عليه وأقول للمريض دعها فإنها ليست عليك إنما هي على من أنعم الله عليه بالعافية لأن الله تعالى يقول - ولا على المريض حرج - وإذا فتحت صليت ما عليك حتى يموت كافرا ، إذا مات تاركا للصلاة وهو في مرضه لقي الله تعالى وهو غضبان عليه ، يا محمد وإن كنت كذبت أو زغت فاسأل الله أن يجعلني رمادا ، يا محمد أنفجح بامتك وأنا أنفجح سدس أمتك من الإسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالعين من جليك ؟ قال أكل الربا ، قال فمن صدقتك ؟ قال الزاني ، قال فمن ضجبتك ؟ قال السكران ، قال فمن ضجبتك ؟ قال السارق ، قال فمن رسولك ؟ قال الساحر ، قال فما قرعة عينك ؟ قال الحالف بالطلاق ، قال فمن حببتك ؟ قال تارك صلاة الجمعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين فما يكسر ظهرك ؟ قال سهيل الخليل في سبيل الله قال فما يذيب جسمك ؟ قال نوبة النائب ، قال فما يضيغ كبدك قال كثرة الاستغفار لله تعالى بالليل والنهار ، قال فما يخرى وجهك ؟ قال صدقة السر ، قال فما يطمس عينك ؟ قال صلاة السحر ، قال فما يقطع رأسك ؟ قال كثرة الصلاة في الجماعة ، قال فمن أسعد الناس عندك ؟ قال تارك الصلاة عامدا ، قال فأمر الناس أشقى عندك ؟ قال البخلاء ، فما يشغل عن عملك ؟ قال مجالس العلماء ، قال فكيف تأكل ؟ قال بشمال وأصبعي ، قال فأين تستظل أولادك في وقت الحرور والسموم ؟ قال تحت أظفار

الإنسان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فكم سألت من ربك حاجة ؟ قال عشرة أشياء ، قال فما هي بالعين ؟ قال سألته أن يشركني في بني آدم في ملهم وولدهم فأشركني فيهم ، وذلك قوله تعالى - وشاركنهم في الأموال والأولاد - وعندهم وما يعدهم الشيطان إلا هرورا - وكل مال لا يزكي فلان أكل منه وأكل من كل طعام خالطه الربا والحرام ، وكل مال لا يتعوز عليه من الشيطان الرجيم ، وكل من لا يتموز عند الجماع إذا جامع زوجته فإن الشيطان يجمع معه فيأتي الولد سامعا مطبعا ، ومن ركب دابة يسير عليها في غير طلب حلال فإن ربه بقه لقوله تعالى - وأجلب عليهم بخلك ورجلك - وسألته أن يجعل لي بيتا فكان الحرام ، وسألته أن يجعل لي مسجدا فكان الأسواق ، وسألته أن يجعل لي قرآنا فكان الشعر ، وسألته أن يجعل لي أذنا فكان المزامير ، وسألته أن يجعل لي ضجيجا فكان السكران ، وسألته أن يجعل لي أحوالا فكان القدورية ، وسألته أن يجعل لي إخوانا فقال الدين يتفقون أمواتهم في المعصية ثم تلا قوله تعالى - إنه المبدين كانوا إخوان الشياطين - الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نولا لا تبني تصديق كل قول بآية من كتاب الله تعالى ما صدقتك ، قال يا محمد سألت الله تعالى أن أرى بني آدم وهم لا يرونني فأجرائني على هروقهم بجري الدم أجول بنفسي كيف شئت وإن شئت في ساعة واحدة فقال الله تعالى لك ما سألت وأنا أفتخر بذلك إلى يوم القيامة وإن من معي أكثر ممن معك وأكثر ذرية آدم معي إلى يوم القيامة ، وإن لي ولدا قد سميت عمة يول في أذن العبد إذا نام عن صلاة العتمة ولو لا ذلك ما وجد الناس لوما حتى يؤدوا الصلاة ، وإن لي ولدا سميت المتقاضى فإذا حمل العبد طاعة سرا وأراد أن يكتمها لا يزال يتقاضى به بين الناس حتى يغتفر بها التام فيمدحوا الله تعالى تسعة وتسعين ثوبا من مائة ثواب فيبقي له ثواب واحد لأن له بكل عمل يعمله مائة ثواب ، وإن لي ولدا سميت كحبيلا وهو الذي يكحل عيون الناس في مجالس العلماء وعند خطبة الخطيب حتى ينام عند سماع كلام العلماء فلا يكتب له ثواب أبدا ، وامن امرأة تخرج إلا قد شيطان عند مؤخرها وشيطان بقعد في حجبها يزنيانها للناظرين ويقولان لها أخرجي يدك فتخرج يدها ثم تبرز ظفرها فتنتك ، ثم قال يا محمد ليس لي من الإضلال شيء إنما أنا موسوس ومزبور

ولو كان الإضلال بيدي ما تركت أحدا على وجه الأرض ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا صائما ولا مصليا ، كما أنه ليس لك من الهداية شيء بل أنت رسول ومبلغ ولو كانت الهداية بيدك ما تركت على وجه الأرض كافرا وإنما أنت حجة الله على خلقه وأنا سبب لمن صبقت له الشقاوة ، والسعيد مع أسعده الله في بطن أمه والشقي من أشقاه الله تعالى في بطن أمه : فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك - ثم قرأ قوله تعالى - وكان أمر الله قدرا مقدورا - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا مرة هل لك أن تتوب وترجع إلى الله تعالى وأنا أضمن لك الجنة ، فقال يا رسول الله قد قضى الأمر وجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فسمعنا من جعلك سيد الأنبياء وخطيب أهل الجنة فيها ونصك واصطفاك ، وجعلني سيد الأشقياء وخطيب أهل النار وأنا شقي معطود ، وهذا آخر ما أخبرتك عنه وقد صدقت فيه :

• • •

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمي وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين :